لغة تجمع القلوب على الحب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قمت فيكم أختال فى المهرجان ... تحت عطفىّ حاليات الأمانى

يتمشى الشباب فى مفرِق الطلق ... ويبدو الربيع فى أفنانى

فكأنى فيكم رددتُ شبابى ... وأعدتُ الذى مضى من زمانى

وعلى منكبىَّ أثقالُ عمرى ... أصبحتْ كالهباء فى الميزان . .

كلُّ لُقيا بكم تُجدُّ جديدًا ... وتُدِبُّ الحياة فى شريانى

يأرجُ الطيِّب منكمُ فى ثيابى ... ويضوعُ العبير فى أردانى . .

إنكم للعروبة اليوم حصن ... مستطيلُ الذرا ، رفيع المكان

عَزَّ من صارَ لائذا بحماكم ... يا بقايا الفصاح من عدنان !

نَسَبٌ كالضحى تألَّقَ ضوءٍ ... وكوجه الربيع طيبَ مغانى

أنا بالخالدين أطْولُ عُمرًا ... لىَ طولُ المدى ، وعرض الجنان

كيف يخشى الفناءُ بين يديكم ... والذى تصنعونه غيرُ فانى ؟ ؟

* * *

التقينا مِن مُنْذُ عام وعُدنا ... بعدَ عام إلى لقاءٍ ثانى

دورةٌ من مراحل العمر ولَّت ... بالذى حُمِّلتْهُ من حَدَثان

نُثِرَ العِقدُ من يدينا ، فصرنا ... وقد انقض بيننا نجمان

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى الدورة الخامسة والأربعين بجلسة السبت ٤ من ربيع الآخر ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق أول مارس سنة ١٩٧٩ م .

فخسرنا (الخفيف) فى ساحة الفقـ ـه وزادَ الخسَار فى (عثمان)
كان (عثمانُ) لى رفيقاً رقيقاً وصـديقاً كمـا أراه يرانى
إنَّ خَطباً فَردا يكون جُساماً كيف لو حَـلَّ بيننا خطبان ؟

ذَهَبت كلُّ ليلةٍ بمعـان وأَتَت كلُّ ليـلةٍ بمعـانى
ليتَ شعرى ! ماذا وراءَ الليـالى مِن فراقِ الأَحباب والأَظعان ؟
وهَلْ الضاربان فى مشْرِق الأَر ض وفى غَربهـا سيلتقيـان ؟
أَذِنَ اللهُ أَننـا نتـلاقى بعد طُول المسير والدوران . . .

* * *

جمَع اللهُ شملنـا بعد عـام حافـل بالأَفـراح والأَشجـان
شغلتْنا الجِراحُ فى قلبِ (صنعا) ودامى الجراحِ فى (لبنان)
أَىُّ خَطـب دهى العروبةَ حتى أَصبحَت لوحةً بـلا ألوان ؟
نَصلَ اللونُ فى الورود . . . وغابت رَقْرَقاتُ العبيـر فى البسـتان
ذَهَبت كلَّ روعـةٍ للموازين وأَ ضحت شِعرًا بـلا أَوزان . . .
لا نقولوا : أَوهامُ شيخ يَؤُوس قد أَقـامَ الدعوى بلا بُرهـان !

* * *

ما يبلغنا يأَساً ولكن نَفَثْنا رُبَّ نَفْث أَراح صَدرَ العانى !

* * *

لستُ أَخْشى على العروبة صَدعاً فهى صَـرحٌ موطَّد البنيـان
كلُّ خُلف سينتهى لِوفاق كلُّ خَوف سينتهى لأَمـان
لا يَضيرُ النفوسَ – إن هى شفَّت كلُّ ما ثار بينها من دُخان . . .

أملى فى العروبة اليوم قد زاد ويزداد عنـدهـا إيمـانى
كيف نخشى تفريقَ ما جَمَّعتْه محكمَاتُ التنزيل فى القرآن ؟
(بنتُ عدنانَ) ألَّفت من قديم بين أهـلِ الهضاب والكثبان
لغة تجمعُ القلوبَ على الحب فتمضى سويَّةً فى العنـان
رُزِقت دقة الأداء ، فأدَّت كلَّ ما فى الضمير والوجـدان
دَخَلَتْ كلَّ مسرَبَ للمعانى سلكت كلَّ مسلك للبيـان
فهى سيانِ إن تَمثَّلَ فيهـا آبدُ الوحشِ أو (صريعُ الغوانى)
وإذا شئتَ فهى طَرقُ قُيونٍ وإذا شئت فهى عزف قيان . .
كلُّ معنًى له على القدِّ لفظ فهما فى السواء يلتقيـانِ
كلُّ حرفٍ يلتفُّ حـول أخيه مثلما التفَّ فى الهوى عاشقان !

* * *

لغةُ يلتقى بها الهمسُ بالجهـ ـر ولُطفُ الإسرار بالإعـلان
ولكلٍّ مواطنٌ . . لم تجاوِزْ ما يُريدُ المـكانُ من إمـكان
حَسبُها أنها تُبينُ . . . وتجلو مـا تريدُ الحيـاةُ من تبيان
تَنقُلُ الفكرَ فى بيان دقيق رُبَّ فكر يضيقُ بالكتمان . . .

* * *

لغةُ الجَمع . . . لا تفرِّقُ إلا بين أعلى شأْن وأصغر شان
رَقَّ فيها الشفيف من كل لفظ دَقَّ فيهـا العنيفُ فى الآذان
وسِعَت كلَّ ما حـوى الكونُ حتى لم تضق بالمحـار والمرجـان
تضعُ اللفظَ للوطىء من الأر ض وللشـامخ البعيـد الرَّعـان

ثم تُضْفِى على المعانى ظلالاً لم تدُر فى الظنونِ والحسبـــان
فهى ، فيها مافى الطبيعة من سحـ ـرٍ وما فى الصنيع من إحســان . . .

* * *

لغة تسبق النسيم إلى القلـ ـب وبَـردَ الـزُّلالِ للظمـآن
هـان أنَّا نـرى المنيَّـة فيها لو أُصبنـا فيها ببعض الهوان ..
ضمن اللهُ حفظَهَـا بكتاب فهى تحظى منه بأَوفى ضمان . .

* * *

إنَّ من فَرَّق العُـروبةَ أرضاً لم يُفَرقْ منـا سوى الأَبدان
نحن إن نجتمع على اللغة الفصـ ـحى سنَبقَى فى وحـدة وكيـان
نحنُ بالفكر نلتقى . . . والبيان وهى لقيا تطوى حـدودَ الزمان.

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع